



## صلاح الدين يعود... إلى باريس

ا صلاح الدين في باريس. لا، ليس هذا عنواناً لمسلسل من نمط الخيال الماضي، انتاج مؤسسة بن لادن للترويج وتوزيعها. اصلاً، لا علاقة لبن لادن بصلاح الدين، كما يتبين بوضوح من المعرض المخصص ل"فن الايوبيين" الذي افتتح الاسبوع الماضي في معهد العالم العربي في باريس. واذا كان من اسامة في ذلك العصر، فانه ابن المنقذ، وجه مشرق من فرسان الاسلام، ولا تشبيهه ممكناً بين اسامة واسامة.

ومع ذلك، يبدو التوقيت غريباً لمن يرى الملصق الاصفر العملاق يحمل عبارة "شرق صلاح الدين" على ضفة السين. المعرض كان مبرمجاً قبل ١١ ايلول وهفوة جورج بوش "الصليبية"، فالمعارض الكبرى في معهد العالم العربي يتطلب التحضير لها اشهرًا واحياناً سنوات. لكن حتى الدراية بهذا الامر لا تخفف من حيرة الزائر الذي يقال له يومياً منذ اسابيع ان اوربا تقف على سلاحها. كان يمكن تأجيل المعرض الى ايام اكثر تسامحاً، تقول لنفسك. ثم لا تلبث ان تستدرك: بالعكس، التوقيت مثالي، فاي ظرف انسب لتحريك الفضول؟ اي وقت افضل لمواجهة المعضلات الموروثة، شرقاً وغرباً، من ذلك العصر؟ اي شخصية افيد من صلاح الدين لتبيان حقيقة الهوة وعمقها؟ صلاح الدين سبق المعرض الى باريس من زمان.

وحده بين كل وجوه التاريخ العربي يملك مثل هذا الحضور في اوربا. انه حضور ملتبس، لا شك. اسكنه دانتي جنة الشعراء والابطال الى جانب سقراط ويوليوس قيصر، فقد مثل في المخيلة الاوروبية نموذج الخصم الشريف والقائد الرحوم الذي عامل الافرنج، واولهم ريكاردوس قلب الاسد، بتسامح القادر ولم يسترسل مع نزعة الثأر الا لما نفذ صبره من عنجهية رينو دي شاتيلون (شارون ذلك العصر).

الا انه بقي في قعر الوعي الاوروبي يجسد العدو الذي استعاد القدس. وبالفعل، ظل طيف السلطان الايوبي يستفز لهذا السبب كل "صليبي" ما بعد الصليبية، ولعل آخرهم كان الجنرال غورو، قاتل الحلم الفيصلي الذي ما ان دخل دمشق بعد ميسلون حتى قصد قبر الناصر، معتقداً انه يغيبه بقوله: "ها قد عدنا يا صلاح الدين"، فيما كان يؤسس بهذا التصرف لجلاء جديد.

|| صلاح الدين في باريس، معروضات فنية (اوان معدنية وزجاجية، اقمشة، مخطوطات) واخرى عسكرية (دروع وخناجر) وفيلم تسجيلي ينقل صدى معارك صاخبة واعمال معمارية ضخمة (قلاع حلب ودمشق والقاهرة)، والمحصلة صورة بعيدة عن التبسيط الذي حفظته المخطيات، غرباً وشرقاً، عن الحروب الصليبية. كما حصل في الثمانينات عند اعادة اكتشاف الروايات العربية للحروب الصليبية عبر اعمال فرنشسكو غابرييلي واندره ميكيل، الذي اعاد الى الضوء شهادة اسامة بن المنقذ، وكتاب امين معلوف الرائج "الحروب الصليبية بمنظار العرب"، يؤكد معرض "شرق صلاح الدين" ان الحقبة الصليبية لا تروى بالابيض والاسود. كانت صداماً بين حضارتين، هذا اكيد. لكنها كانت ايضاً قصة صدمات داخل كل من الحضارتين، مع تحالفات مخالفة للمنطق، واتفاقات سلام مؤقتة وتسويات وخيانات.



بعض مما صرنا بدورنا نشاهده على مسرح الصراع العربي - الاسرائيلي منذ عشرين عاماً. هذه الصورة ليست الغرض الاول من المعرض. الهاجس العلمي للمنظمين هو تصوير المشرق في لحظة تحول اساسية رسمت الى حد بعيد معالمه الحاضرة. من الناحية الدينية اولاً، حيث اعاد صلاح الدين الشيعة الى وضع اقلوي بعدما انهى الخلافة الفاطمية، وانعكس هذا الهم عنده في بناء المدارس الدينية وفق نمط معماري متقشف ساهم بدوره في تحديد معالم المدينة العربية.

ومن الناحية المعمارية ثانياً، اذ لعبت القلاع الابوبية في كل من حلب والقاهرة ودمشق دوراً مركزياً في التنظيم المدني. ومن الناحية الثقافية ايضاً، حيث شهد فن تصنيع المعادن تطوراً سيؤثر في فنون القتال والتزيين على حد سواء، فيما كان الفكر والادب يشهدان آخر انتعاشة قبل انقراض المغول. شرق صلاح الدين ومن بعده اخيه العادل وابن اخيه الكامل، ارض جهاد، طبعاً. لكن "القرن الابوي" (في الحقيقة، فقط ثمانون حولاً) دليل ان المجاهدين الظافرين يقودون الجهاد، ولا يقودهم هو.

III لكل روايته. ما عاناه الصديق الياس خوري في جنوب فرنسا من دهم بوليسي وتحقيق، حقاً مروّع لما يكشف عنه من نزعات عنصرية كامنة وكيف يؤججها الخوف من المجهول. وما قرأناه في الصحف عن الهواجس الامنية في الغرب بعد ١١ ايلول وما يترتب عليها من حذر تجاه العرب اوحى ان اوربا منطقة غير آمنة للناطقين بالضاد. لحسن الحظ، الصورة ليست دائماً على هذا السوء. في مطار فرانكفورت، تطالعك احرف عربية عملاقة ما ان تخرج من الطائرة: واجهة احدى المكتبات في حرم المطار احتلها ملصق كبير يروّج لجريدة عربية.

وفي وسط بروكسيل، قافلة من المشاركين العرب في ندوة للحوار الاوروبي - المتوسطي تشق طريقها وسط اللامبالاة، من دون ان يشعر احد فيها ان عليه التخفيف من القهقهات بمختلف اللهجات المشرقية والمغربية. وفي حي الجمهورية في باريس، جزيرة عربية، وعجقة جزائرية، ولفيف من اللبنانيين والسوريين، ولا تدابير امنية ظاهرة. على الضفة الاخرى من النهر، قرب معهد العالم العربي، مكتبة ابن سينا لا تستفز احداً على ما يبدو بواجبتها العربية.

الحياة ليست طبيعية بالكامل: دوريات امنية في المترو تقاوم الازدحام المزمّن فيه، آلات الكشف عن المعادن عند مدخل معظم المرافق لا تميز بين عربي واعجمي، ويبقى الاسوأ ان سلال النفايات قد سُدّت. ولكن لا مقارنة باجواء ١٩٨٦ او ١٩٩٦ حين توثرت فرنسا اثر موجة من التفجيرات، في وسط باريس على الاقل. في الضواحي، يقولون ان الوضع مختلف. على شاشات التلفزيون، الوضع قطعاً مختلف، وعلى صفحات الجرائد ايضاً. لكن "الشارع الاوروبي" ليس حتى الآن ارض جهاد، ولا حرب صليبية.

سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>01-Pr-000729</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		صلاح الدين يعود... إلى باريس
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		مرور الكلام
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠١/١٠/٢٩ 29/10/2001
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	صلاح دين - أسامة بن لادن - جورج بوش - سقراط - يوليوس قيصر - جنرال غورو
	<b>Locations</b>	باريس - القدس - أوروبا - بروكسل - القاهرة - دمشق - فرانكفورت
	<b>Dates</b>	١٩٩٦ - ١٩٨٦
	<b>Themes</b>	١١. أيلول - صدام حضارتين - صراع عربي. اسرائيلي - خلافة فاطمية - ابن سينا - بن لادن
<b>Subject</b>		